

ب-في المغرب الأقصى:

كان إنشاء المدارس في المغرب الأقصى بعد ثلاثين سنة من تاريخ إنشاء أول مدرسة في تونس وتعتبر الدولة المرينية بالمغرب الأقصى ، أكثر دول المغرب الإسلامي نشاطا في المجال العمراني بصفة عامة و وتشبيد المدارس بصفة خاصة حيث ظهرت بعدد أوفر و جمال أروع.

و كانت أول المدارس التي انشأت بالمغرب الأقصى مدرسة الصفارين التي يرجع

تاريخها إلى حكم السلطان المريني الثاني أبو يعقوب ابن عبد الحق (657-685

هـ/1258-1286 م)في أواخر القرن 7هـ/13 م .

بعد مدرسة الصفارين يمكننا تصنيف المدارس التي ظهرت إلى ثلاثة مجموعات حيث كل مجموعة تعود لعهد معين.

-المجموعة الأولى:(710 هـ -732 هـ)

ترجع إلى عهد أبي سعيد عثمان المريني ، حيث انشأ هو و ابنه الأمير أبو الحسن أربع مدارس هي:

مدرسة فاس الجديد،مدرسة دار المخزن وذلك سنة 720 هـ / 1321 م، ثم مدرسة

الصهريج الكبرى بناها الأمير أبو الحسن و ذلك سنة 721 هـ/ 1323 م و كملت سنة

725 هـ/ 1325 م.

-المجموعة الثانية : (749-759 هـ /1348-1357م)

تضم مجموعة المدارس التي انشاها السلطان أبو الحسن أو كلف بها ولي عهده أبا عنان و

تشمل مدرسة سلا ، التي شيدت سنة 746هـ/ 1341 م و المصباحية التي عاصرت تاريخ

تأسيس مدرسة سيدي بومدين بتلمسان سنة 747هـ/ 1346 م.

ولقد ذكر ابن مرزوق أن أبا الحسن أنشا في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى و الأوسط

مدرسة

"فانشا بمدينة تازى قديما مدرستها الحسنة ،وببلاد مكناسة و سلا و طنجة و سبتة وانفي و ازمور و اغمات و مراکش و القصر الكبير و العباد بظاهر تلمسان، و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان....".

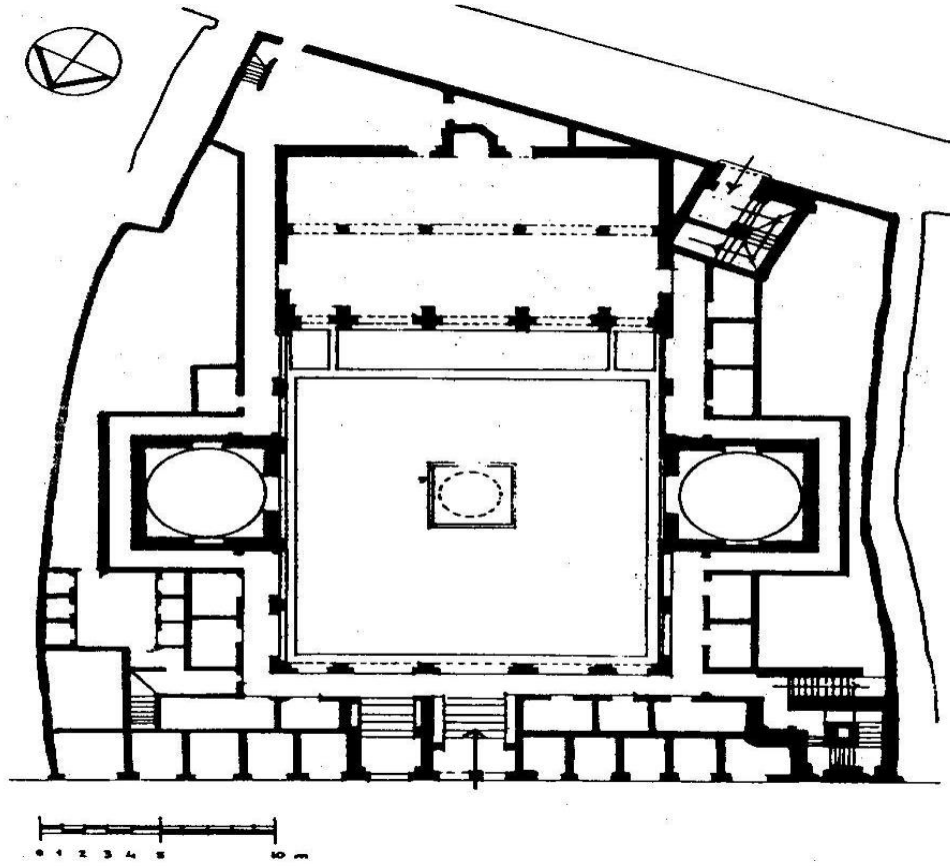
- المجموعة الثالثة: (749 - 759هـ / 1348-1357 م)

وهما المدرستان اللتان تنسبان لأبي عنان فارس، بو عنانية مكناس التي ابتداءً بإنشاءها على عهد والده ، وبوعنانية مدينة فاس الكبرى التي تمتاز بجمال فائق ،وكان يطلق عليها المدرسة المتوكلية و تعد هذه الأخيرة آخر المدارس لتي أنشأها بنو مرين .

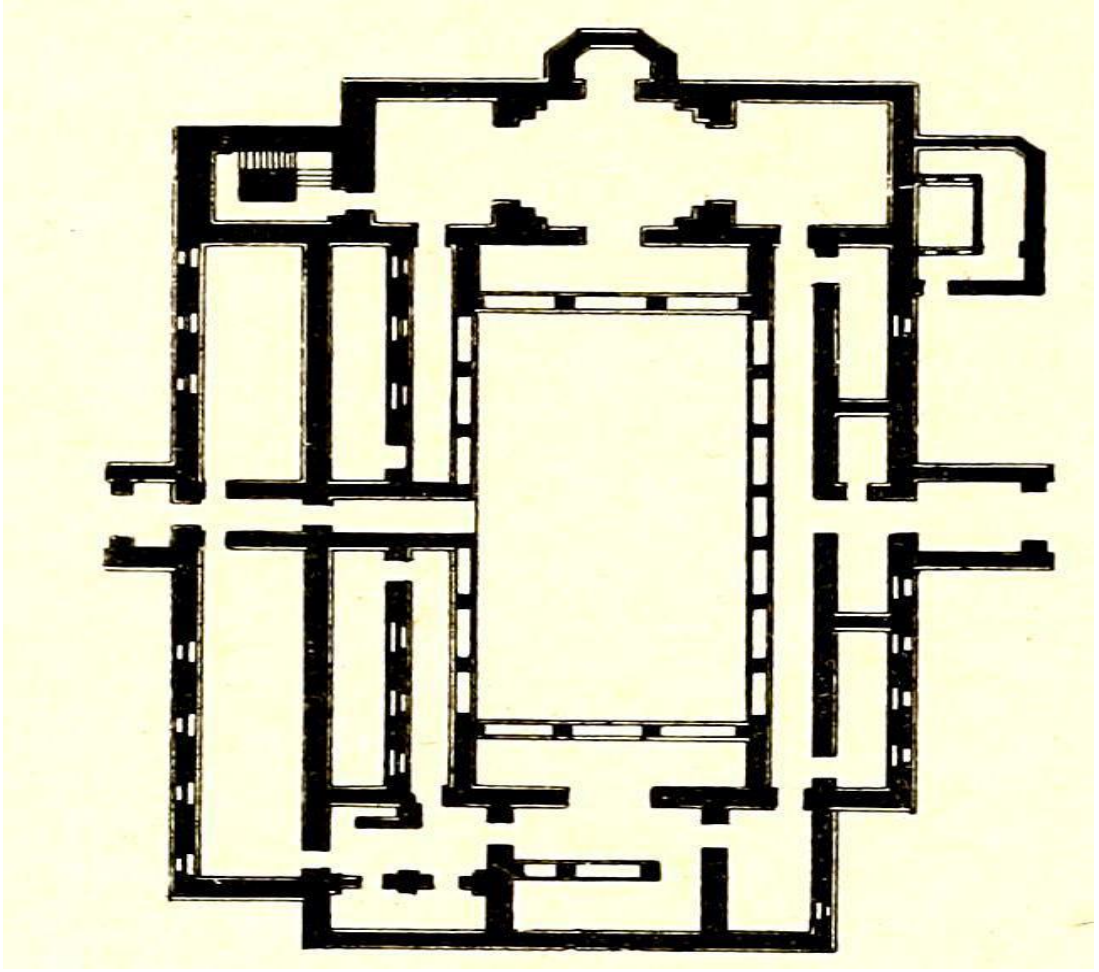
ج-في تلمسان:

أما بالنسبة لتلمسان كان تأسيس أول مدرسة في عهد السلطان أبو حمو موسى الأول حيث انشأ سنة 710 هـ / 1312 م للعالمين الجليلين و الفقيهين الشهرين أبي زيد عبد الرحمن و أبي موسى عيسى ابني الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام من أهل برشك التي لم يبق منها غير المصلى الصغير المشرف على الصحن الصغير.

- أما المدرسة الثانية فهي التاشفنية و ذلك خلال حكم أبي تاشفين 718 هـ 737 هـ سميت في حياته باسمه ثم دعيت بالمدرسة الجديدة بعد وفاته حيث تعد فريدة من نوعها في بلاد المغرب من حيث تخطيطها أو فسيفسائها الخزفية و المحفوظة أجزاء منها في متحف تلمسان.



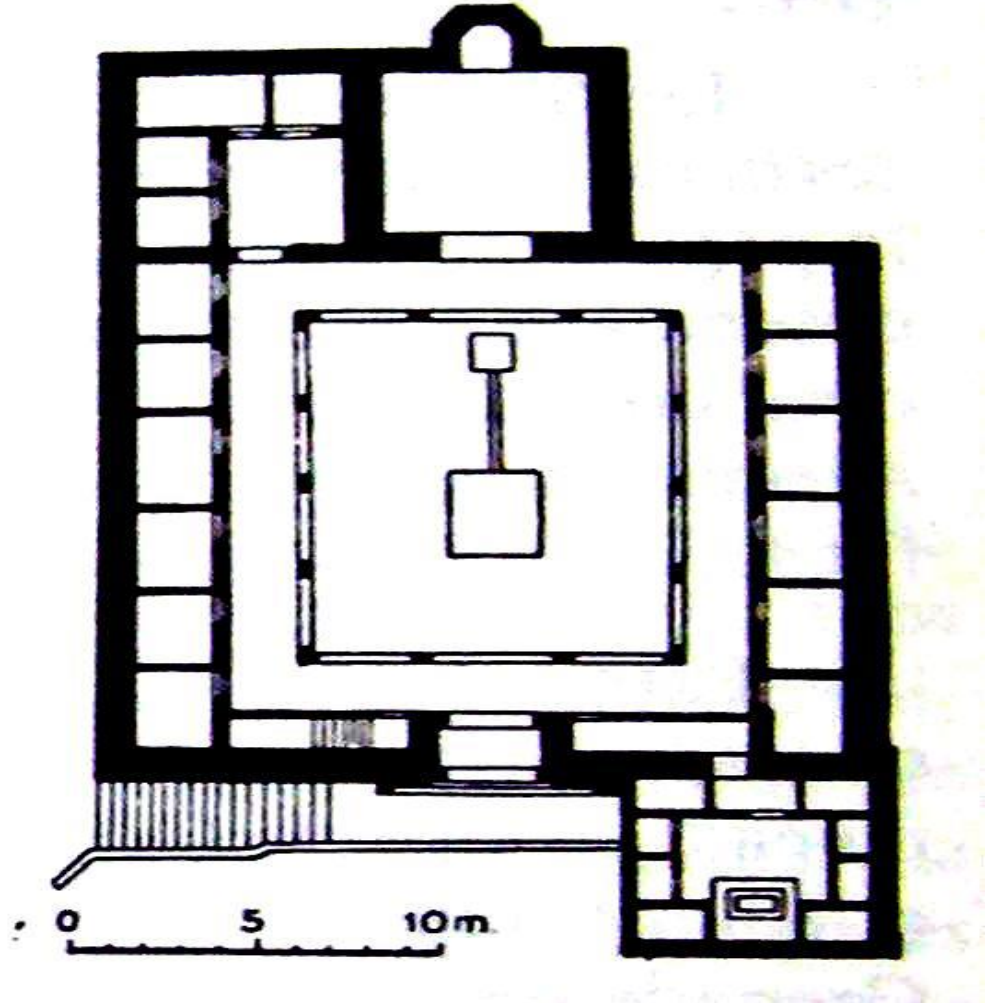
مخطط المدرسة المتوكلية



مخطط المدرسة التاشفنية

في حدود (763-765هـ / 1361-1363م) بنيت المدرسة اليعقوبية بجانب ضريح سيدي إبراهيم المصمودي على يد السلطان أبي حمو موسى الثاني .
أما المدرسة التي لا تزال قائمة فهي مدرسة سيدي بومدين التي بناها السلطان أبو الحسن علي بن ابي سعيد عثمان المريني و ذلك سنة (747 هـ - 1347 م) لتكون أول مركز علمي و ثقافي بمدينة تلمسان ، ولقد غلب عليها اسم العباد فأصبحت تعرف (بمدرسة العباد) و لقد أشار ابن مرزوق إليها قائلا: "... وبالعباد ظاهر تلمسان و حذاء الجامع الذي قدمت ذكره ، و بالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب اختلاف البلدان..."

أما المدرسة الأخيرة فهي مدرسة سيدي الحلوي بناها السلطان أبو عنان فارس و ذلك سنة 754 هـ التي تقع بجوار ضريح الولي الصالح المتصوف أبي عبد الله الشوزي الاشبيلي المعروف بسيدي الحلوي .



مخطط مدرسة العباد

مفهوم الضريح :

يعد الضريح من أهم المنشآت الدينية التي أولى لها المعماري المسلم عناية خاصة، و المقصود بالضريح شق وسط القبر، وقيل القبر كله وهو قبر بلا لحد وسمي ضريحا لأنه يشق في الأرض شقا، أو لأنه انضرح عن جانبي القبر فصار في وسطه. كما له عدة تسميات منها: المدفن ، التربة ، اللحد ، الجذث وغيرها أما عن أنواع الأضرحة في العمارة الإسلامية سواء في المشرق أو في المغرب منها الضريح الفاطمي ، الضريح الأيوبي و الأضرحة العثمانية وغيرها من الأضرحة وخلال درسنا سوف نتناول أحد النماذج بتلمسان من خلال معرفته تاريخه و وصف مخططه .

ضريح أبو إسحاق الطيار:

تقع أطلال هذا المعلم على ربوة قريبة من ينبوع، ويعود تاريخها على الأرجح إلى بداية القرن 14م، أما المبنى الذي تحيط به هذه الأطلال ، فقد كان يمثل جزء من العباد السفلي وتتكون هذه البقايا أولا من أربعة بوائك آجرية ، مجموعة على شكل مضلع رباعي، كما توجد بائكة خامسة على الركن الجنوبي الشرقي من هذا الرباعي، تشير إلى وجود رباعي آخر أقدم من الأول وممتد نحوه باتجاه الشرق ، وما تزال أساسات الجدران تحدد شكل المربع على الجهات الثلاث الأخرى.

ومن ناحية أخرى ، يظهر مخطط بائكة أخرى في وسط الواجهة الغربية من الركن الجنوبي الغربي ، يدفع إلى الاعتقاد بوجود رباعي ثالث ممتد نحو غرب المعلم. كما يوجد في الحافة الشرقية للبائكة الخامسة المعزولة الآن جدار من 3م يتجه عرضيا نحو الجنوب ويعلوه جملون شبه سليم ، ويخرقه باب منخفض.

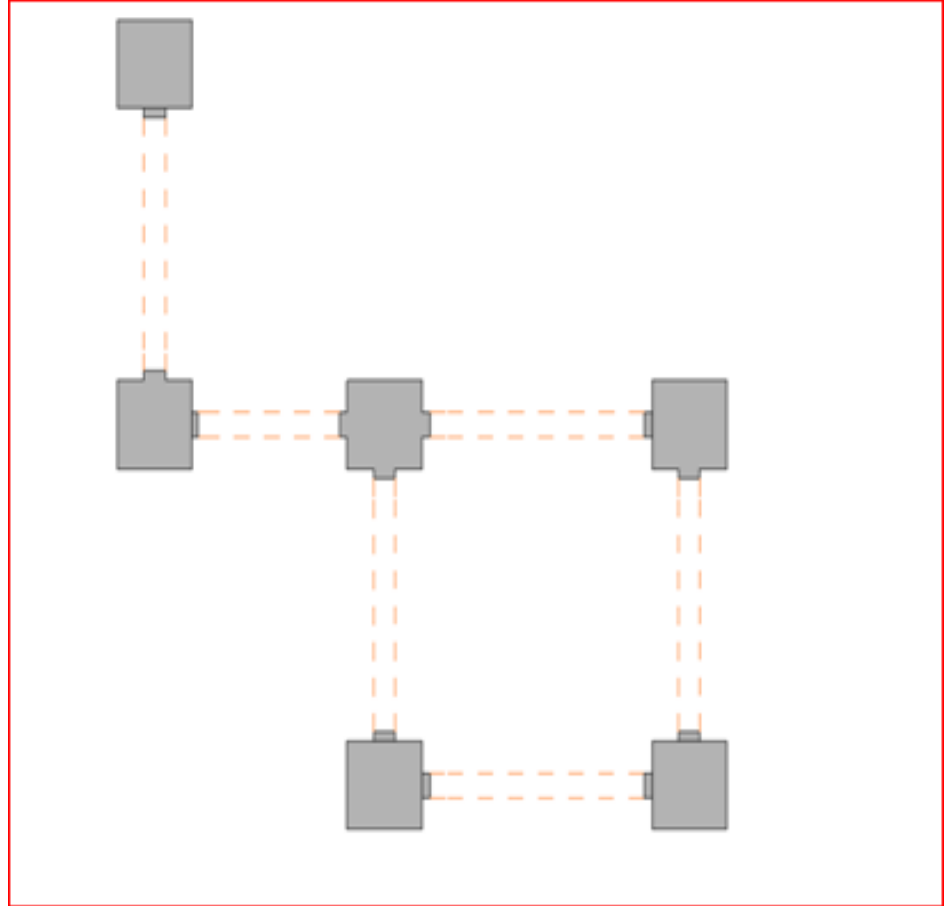
وتزين الواجهة الخارجية لبائكة العقود المنكسرة لهذا الباب سلسلة متوالية جميلة جدا من قصاصات زهرية وشبكية ، وبوائك هذا المعلم المتجهة نحو الشرق و الغرب عقودها منكسرة ، أما المتجهة نحو الشمال و الجنوب فعقودها أنصاف دائرية.

وتصب مياه الينبوع القريبة من الأطلال الباقية للرباعي الشرقي في أحواض حجرية محفورة بشكل غير متقن.

كما يوجد شواهد لقبور في هذا الرباعي ، إلا أن المستوى الذي تحتله الشواهد لا يسمح بافتراض أنها للولي الصالح الذي بني من أجله هذا المعلم.

إن أساسات الجدار الشرقي للرباعي الثاني توفر تقوية ظاهرة ، يمكن أن تكون علامة على وجود محراب قديم حسب ويليام و جورج مارسلي، موجه نحو شرق جنوب الشرق كسائر مصليات "العباد السفلي" القديمة.

ومن جهة أخرى ، فقد ذكر "دوثوا" أن العقد الشرقي يحدد من هنا على الأرجح الباب الصغير المنخفض للجدار العرضي ذي الجمelon كان يصل بين القاعة المغطاة و الساحة ، وبذلك تكون وضعية الينبوع المتعلقة ابتداء بالوضوء مفهومة وواضحة



مخطط ضريح أبو إسحاق الطيار

التحصينات العسكرية في المغرب الإسلامي:

إعتبر الإسلام بناء الأبراج والأسوار والقلاع والحصون و الأربطة من الوسائل التي تساعد على حفظ النفس والمال والعرض وهي من مقاصد الإسلام، ولقد استعملت هذه التحصينات في المشرق و المغرب الإسلامي، وهذه الأخيرة هي التي وجب تناولها لذا شرحنا بعض النماذج فقط منها وهي الرباط و الأسوار

الرباط :

كلمة (رباط) في أول الأمر على موضع تجميع الخيل وربطهم بقصد الجهاد في سبيل الله ومواجهة العدو استنادا إلى قوله تعالى " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"

ولما كان موقع الرباط هو موقع مواجهة العدو فإنه كان يقام بمواقع الحدود المشرفة على أرض العدو ثم تطور إلى (الثغر) سواء كان مطلا على البحر أو كان بموقع داخلي وقد التزم المسلمون الرباط امتثالا لقوله تعالى (.. اصبروا وصابروا وربطوا..).

وليس بخاف قيمة ذلك التوجيه الذي يعتبر أمرا من الخالق سبحانه وذلك للقيام بفرض الجهاد في سبيل الله كل على قدر طاقته سواء بالتعبد والإنقطاع للدعاء أو كان ذلك بالجهاد المسلح، ولهذا، كان الرباط عبارة عن بناء يجمع بين الوظيفتين الدينية والعسكرية

كما هو الحال في رباط سوسة ورباط المنستير بإفريقية الأغلبية لقد تطور الأمر في المغرب، فانتشرت أيام المرابطين حركة الربط التي ظهرت بالمغرب منذ أيام الأدارسة ثم الزناتيين

وكان الربط الديني كرباط مكانا للعبادة وتداول العلم واعتكاف المتصوفة أما الرباط الحربي فكان يشغل موقعا استراتيجيا ويحاط بالأسوار الدفاعية ويزود بوسائل الهجوم ويدعم بالإبراج ذات فتحات توجيه السهام والمداخل ذات الحيل الهندسية، كما كان الصحن المتوسط لبناء الرباط يشتمل في جوانبه على حجرات ومخازن السلاح.

وقد يجمع الرباط في مبانيه بين الوظيفتين الدينية والحربية لتحقيق الغرضين وغالبا ما تحقق هندسة البناء وسائل تيسير الغرض الديني إلى جانب وسائل الدفاع الحربي كما هو الحال في هندسة وعمارة أربطة الأغلبية بإفريقية (تونس) ويرجع الدكتور ابراهيم

حركات أن رباط السينغال كان من ذلك الطراز فقد لعب دورا ثلاثيا، بأن وفر للمسلمين وسائل العلم والتعبد كما انطلق منه المرابطون لجهاد المشركين والقضاء على بدعة برغواطة، ثم كان في مفهومه الواسع مهذا أوليا للدولة الصنهاجية التي مثلت دورها المجيد سياسيا ودينيا وعسكريا على مسح الغرب الإسلامي بشقيه الإفريقي والأندلسي .

رباط سوسة :

يقع رباط سوسة في أقصى شرق المدينة القديمة بالقرب من الجامع الكبير، وهو حلقة في سلسلة من الرباطات الدفاعية امتدت حسب قول ابن خلدون على طول الضفة الجنوبية للبحر المتوسط انطلاقاً من سبتة حتى الإسكندرية.

إذ نجد في الخرطوشة المستطيلة داخل الرباط على واجهة الرواق الشرقية، آيات قرآنية ثم اسم من أمر بالبناء و التاريخ في الكتابة التالية " بسم الله الرحمن الرحيم. بركة من الله.

مما أمر به الأميرُ زيادة الله بن ابراهيم أطل الله بقاءه على يد مسرور مولاه في سنة ست
ومتنين. اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خيرُ المنزلين .

وصف مخطط رباط سوسة :

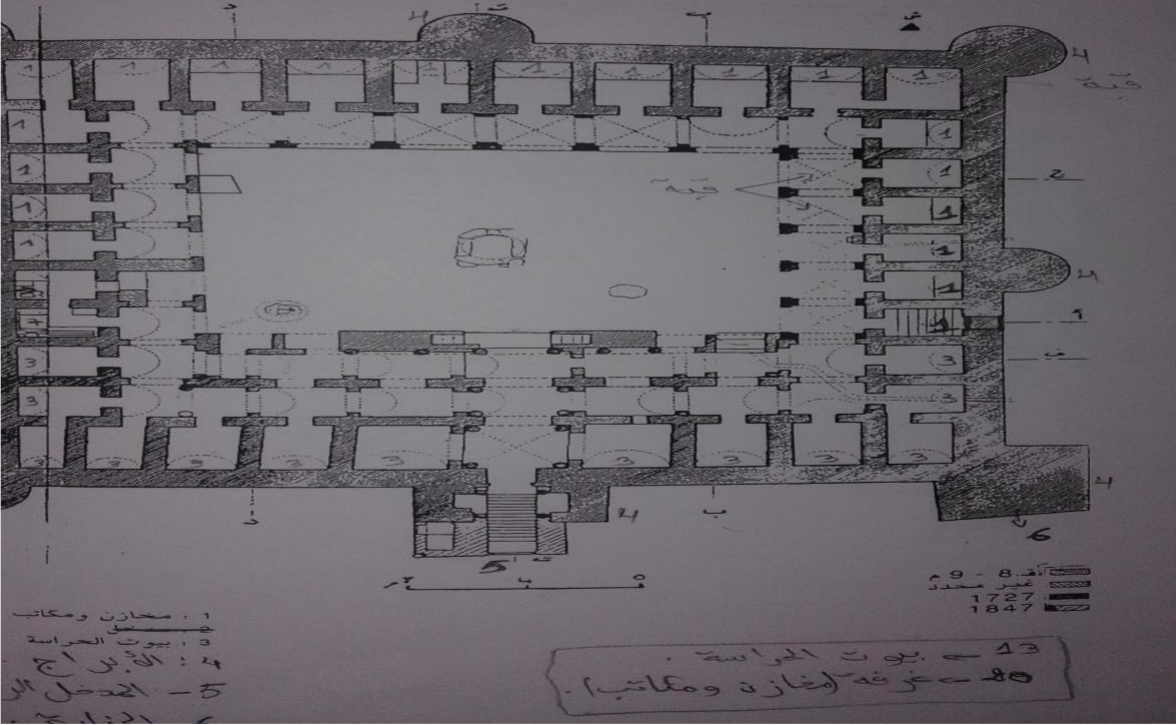
الرباط مربع الشكل مستوحى من مخطط رباط المنستير الذي نُسخَ نموذجه في كافة أرجاء
المغرب الإسلامي. وهو مؤلف من فناء مركزي محاط بالغرف وطابق فيه المسجد. يُذكرنا
هذا المخطط العام بمخطط القصور العباسية مع الأسوار والأبراج نصف الاسطوانية. أما
الواجهة ذات الشرفات فيخترقها في الجهة الجنوبية الشرقية برجٌ للحراسة اسطوانية الشكل
ذو قاعدة مربعة يعلوها منور بقبة خزفية صغيرة. وقد أُضيف هذا البرج في عهد زيادة الله
الأول سنة 821 واستعمل كمئذنة للمسجد المجاور. هذا وقد انتشر هذا الشكل في أرجاء
المغرب منذ نهاية القرن الثامن، ولا سيما في تونس حيث مالت الكفة لاحقاً لصالح المآذن
المربعة – مثل مئذنة جامع القيروان – المستوحاة من الجامع الأموي في دمشق (706)
والتي اعتُمدت في نهاية المطاف في مجمل المغرب الإسلامي.

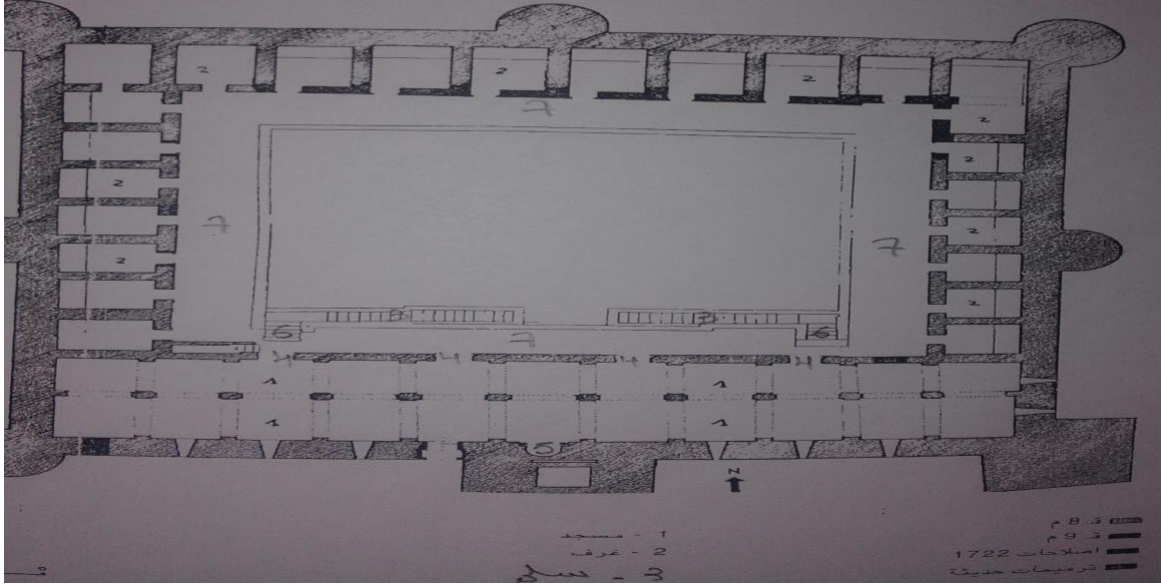
للرباط مدخل مستطيل يستند قوسه التام على أعمدة ذات تيجان كورنثية، وتعتليه غرفة ذات
قبة معقودة الزوايا تحتوي على منظومة دفاعية مؤلفة من مقاذف وشرفاتٍ للرماية وصب
الزيت، وشقّ لبابٍ ينزلق على بكرات لسدّ المدخل. وكانت هذه المنظومة الدفاعية قبةً في
التطور الذي وصل إليه المسلمون قبل اعتماد منظومة المدخل المُكوّع. أما المقاذف التي
تفصل فيما بين الأقواس، فهي من اختراع المسلمين، نسخه الصليبيون لاحقاً للدفاع عن عدد
من حصونهم في الشرق الأدنى.

ونجد نموذج القبة لاحقاً، في جامع القيروان ثم انتشر في صقلية وبلدان المغرب واسبانيا
وجنوب فرنسا وإيطاليا. لكنّ تغييب العنق من قبتنا هنا قد فتح الباب أمام أشكال جديدة اعتمدها
العمارة الساحلية وانتشرت في صقلية التي كانت في عهدة المسلمين بين القرنين التاسع
والحادي عشر.

نصل بعد الولوج من المدخل إلى بهو يفضي إلى فناء ذي أروقة. وثمة في الرواق الجنوبي
سُلّمان يصلان إلى الطابق العلوي الذي فيه المسجد وغرف مبيت الغزاة. وفي المسجد
أسكوبان وإحدى عشر بلاطة متعامدة مع جدار القبلة تحدّها أقواس تامّة ومنخفضة تستند على
دعامات تشابه تلك الموجودة في الجامع الكبير المجاور. في هذا الجامع الكبير ثمة أحد أقدم
الأمثلة على الأقواس في الاتجاهين (أي نصف دائرية وإهليلجية). والمحرابُ نصف الدائري
يُستهلّ بقوسٍ تامّ مرتفع يرتكز على أعمدة. أما الجدار الجنوبي ذو الدعامات الساندة التي
تحمل عبء الأقواس بمحور شمال-جنوب، فيحمل ست شقوق تبدو وكأنها منابِل لرمي النبال.

شكل 18 : رباط سوسة - الطابق الأرضي -





الأسوار : سور المنصورة في تلمسان

يتوقف تخطيط المدن العسكرية على طبوغرافية الموقع، إذ يتبع سور المدينة موقعها الطبوغرافي ويساير خطوطها التضاريسية، ينجر عنه عدم انتظام أشكالها ، فمعظم المدن المحصنة في المغرب ذات شكل غير منتظم أما هو الحال في المدن المرينية، والمناعة، فقد شيده على موقع ذو تضاريس مختلفة ، حيث شيد جزءً منه على مرتفع، والجزء الآخر على سهل، وهذا ما أدى إلى عدم انتظام شكل السور، فهو يشبه مستطيل غير منتظم الأضلاع.

أما بخصوص تاريخ بناء السور بمدينة المنصورة، فقد بُني مرتين، ففي المرة الأولى شرع في بنائه أبو يعقوب سنة (702 هـ / 1302 م)، وعندما جاء المرينيون من مدينة المنصورة إثر مقتل سلطانهم هدم جملة ما هدم من المنشآت سور المدينة من طرف الزيانيين، أما

المرحلة الثانية كانت في عهد حفيده أبي الحسن حيث ذكر أنه أعاد بناء معالم مدينة المنصورة وقد استطعنا التفريق بين السور الحالي، والسور القديم الذي بناه أبو يعقوب بفضل استشارات مارسى جورج الذي يرجع البقايا الأثرية بالمغرب من المدخل الشرقي إلى السور القديم

أ - تخطيط السور:

يقدر محيط المدينة، السور ب 5 كلم ، وقد بني بالطابية تمتد من الشمال إلى الجنوب على شكل رباعي غير منتظم أضلاعه غير متساوية، أصغرها الضلع الجنوبي 300

طولا و 750 عرضا، أو 1000* 1100 وتحصر بداخلها مساحة تقدر بما يزيد عن 101 هكتار بامتداد جنوب شمال قدر سمك الحوائط ب 1,50 م ثم يتقلص تدريجيا كلما ارتفع نحو الأعلى، أما ارتفاع السور إلى نهاية ذراوي الأبراج فيقدر بحوالي 12 م بينما يقدر ب 9,20 م إلى نهاية ذراوي السور نفسه، أما مطفى الجند، أي الممشى، أو طريق الجند فيقوم عند 7,60 م، ويقدر اتساعه ب 0,80 م وهذا الأخير يستخدم للحراسة و بواسطته يتم الاتصال بكل أبراج سور المدينة، ويعلو هذا الطريق جدار يبلغ ارتفاعه 0,70 م، أما سمكه فيصل إلى 0,65 م تقوم عليه الشرفات ، فهو واقى للجند على شكل دار بزوين، وقد آن الصعود إلى هذا الطريق كان يتم بواسطة درج، إلا أننا لم نعثر على أثر لهذا الدرج، وأغلب الظن أن الصعود كان يتم بواسطة سلالم خشبية، أو أحبال تنزع عند ارتقاء الجنود إليه ليفرغ الجندي تفرغا كليا للحراسة، وعدم التفكير في النزول

ينتهي السور في أعلاه بشرفات هرمية الشكل، أو رباعية الارتفاع بها 0,85 م وعرضها 0,70 م والمسافة بينها- فتحات الرمي، و المراقبة - تقدر بحوالي 1 م